

## حفل استقبال الأستاذ الدكتور محمد طيب تيزيني عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته التاسعة عشرة المنعقدة (في ٢٦ / ١ / ١٤٣٨ هـ - ٢٧ / ١٠ / ٢٠١٦ م) الأستاذ الدكتور محمد طيب تيزيني عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية، ليشغل الكرسي الذي شغره بوفاة الأستاذ جورج صدقي، وصدر المرسوم الجمهوري ذو الرقم (٣٧٤) في (١٥ / ١٢ / ٢٠١٦ م) بتعيينه.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الدكتور محمد طيب تيزيني في جلسة علنية عقدها (يوم الأربعاء ٢٤ / ٥ / ٢٠١٧ م) في قاعة المحاضرات في المجمع، حضرها نخبة من رجال العلم والسياسة والأدب وأصدقاء العضو الجديد. افتتح الجلسة الأستاذ الدكتور مروان المحاسني رئيس المجمع بكلمة موجزة رحب فيها بالسادة الحضور، مهتماً بالزميل المجمع الجديد، مباركاً انضمامه إلى المجمع.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان كلمته التي تحدث فيها عن الزميل المحتفي به، ونوه بمكانته العلمية والخلقية.

تقدم بعد ذلك الأستاذ الدكتور محمد طيب تيزيني، وألقى كلمته التي تحدث فيها عن سلفه الراحل الأستاذ جورج صدقي.

ونشر فيما يلي كلمات الحفل:

## كلمة الدكتور مروان الحاسني رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق في حفل استقبال الدكتور محمد طيب تيزيني

أيها الحفل الكريم:

إنّ حضوركم هذه الجلسة العلنية التي يستقبل فيها مجمع اللغة العربية عضواً عاملاً جديداً هو الأستاذ الدكتور طيب تيزيني، يؤكّد لنا تفاعلكم مع نشاطات المجمع في خدمة اللغة العربية.

إنّ مجمعنا يعتزّ بأنه أنشئ قبل تسعين عاماً وتيّف للدفاع عن اللغة العربية في مواجهتها لهجمة ثقافية غريبة تحاول إغراقها في سيول علمية هادرة تتناول جميع مكونات حياة المجتمع، فارضةً نظرة جديدة على حياة الأفراد اليومية.

إنّ هذا المدّ المعرفي الجارف قد حمل إلى مجتمعاتنا مصنوعات دخلت في صميم حياتنا حاملةً لما يسهّل التغلب على ما نواجهه من مصاعب، وكان لها أيضاً أن أدخلت تعقيدات جديدة عن طريق تأثيرها في حركات المجتمعات، ونفوذها إلى دقائق حياة الأفراد، تُخلخل ما اعتمده من مواقف وجدانية في التعامل مع محيطهم.

إنّها لغة علمية تقنية سريعة التطور تنشقّ عنها باستمرار لغات فرعية تدخل إلى صميم العناصر المكوّنة للأشياء، تطلق عليها تسميات تحتاج إلى

تفكيك مُرُكَّباتها للوصول إلى فهمها قبل إيجاد المقابلات العربية لها، بعد أن أصبحت مصطلحاتٍ مغلقةً على نفسها، بعيدةً عما اعتاده العربي من صيغٍ ترتبط بالدلالة وصولاً إلى معنى المعنى.

إنَّ الشغل الشاغل لأعضاء اللجان العلمية المجمعية التي أصدرت عدداً من المعاجم في العلوم الدقيقة كالفيزياء، والجيولوجية، وعلم الحيوان، وعلم النبات، والمعلوماتية، وكلها معاجم تسعى لتوحيد المصطلحات العلمية التدريسية بين الجامعات السورية، هادفة إلى الاستقرار في اعتمادها، بعد أن ظهرت اختلافات في طريقة وضعها، وهي اختلافات ترتبط بمشارب الأساتذة الجامعيين حسب البلاد التي أوفدوا إليها للتخصص. وهناك معاجم أخرى في قيد الإعداد في علوم البيئة، وألغاز الحضارة، وشؤون الإعلام وغيرها.

#### أيها السيدات والسادة:

نحن اليوم نستقبل الدكتور طيب تيزيني الأستاذ الجامعي المعروف المختص بالفلسفة، ذلك المجال الفكري الواسع الذي يرتع فيه عقل الإنسان في بحثه عن حقائق الأمور.

إنَّها ساحة فكرية مفتوحة عرفنا تباشيرها عند السفسطائيين الذين حاولوا إيجاد أجوبة عن كثير من التساؤلات، فأثبتوا عجزهم، وبَقُوا على تساؤلاتهم، إلا أنهم كانوا السابقين في جعلهم الإنسان مقياساً لكل الأمور، لكنهم لم يصلوا إلى ربط مكانة الإنسان بعقله وحرية، وذلك لأن أعظم المفكرين يبقون أسرى للرؤية الغالبة على زمانهم.

ولكن المسار الفلسفي بقي مثابراً على مسعاه في الوصول إلى حقائق الأمور مستنداً في شرحه لمعنى الحياة إلى عقل الإنسان مشفوعاً بحريته، ولئن كانت فلسفة القدماء قد أدت خدمات جلّى للمجتمعات الإنسانية

بتجاوبها مع ما يخيم على الأفراد من ضائقة وجودية في تعاملهم مع الأحداث، إن المجتمعات المعاصرة قد دخلت في مواجهات صائمة حين حاولت تفهّم واقعها بالاستناد إلى ما كان معروفاً من حكمة الأقدمين عن طريق تلك المدارس الفلسفية التراثية. ولا شك بأنّ التمسك بحرفيّة الماضي، مهما تكن درجات رقيّها، هو موقف يحول دون تمكننا من أن نعيش في حاضرنا فنبقى متشوّقين لأمجاد الماضي وبريقه ولا نرى في واقعنا المملوء بالأحقاد والخلافات، إلا مساراً يغلب عليه اليأس.

إنّ الهواجس التي تطغى على حياتنا، من تساؤلات موجهة إلى فهم الماضي، وتخيّلات تحيط بنظرتنا إلى المستقبل، لا يمكن لنا الخروج من تداعياتها إلا بنظرة تجعلنا نكشف ما في واقعنا من حقائق نسبر أغوارها كي نوقف استرسالنا في التكهنات، ليبقى اعتمادنا للمنطلقات العقلانية منارةً لمسارنا.

#### أيها السيدات والسادة:

لقد حملت اللغة العربية إلى أوروبا الغارقة في متاهات قرونها الوسطى فلسفة عميقة الجذور، مشرقة التعبير، توضح للمفكرين فيها ما كان خافياً عليهم من المفاهيم الدقيقة في مؤلفات الفلاسفة الإغريق الأوائل.

فقد مكّنتهم ترجمة شروح ابن رشد لمؤلفات أرسطو أن يصلوا إلى لبّ مقولاته، وهي ترجمات أندلسية أجريت في طليطلة، وقد قدروا قيمة هذه الترجمات إلى اللغة اللاتينية التي كانت اللغة السائدة قبل تطور اللغات الوطنية المختلفة، فاعتمدوها وأطلقوا على ابن رشد لقب الشارح المتميز. وكانت فلسفة ابن رشد معروفة بإصرارها على التوفيق بين العقل والدين بعد أن اشتهر خلافه مع الغزالي مؤلف كتاب «تهافت الفلاسفة»، وقد ردّ عليه ابن رشد بـ «تهافت التهافت».

وبقي تأثير الفلسفة الرشدية يتعاظم في المجالات الفكرية الأوروبية، إذ إن كتبه بقيت تُدرّس في الجامعات الأوروبية حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي. وكان من آثارها أن انبثقت تلك الحركة الفكرية التي أطلق عليها اسم الإناسة (humanisme)، فكانت منطلقاً أعاد إلى الإنسان مكانته محوراً للحياة في عالمنا، واشتهر فيها عدد من المفكرين: (بيكو) Pico، و(دانتة) Dante، و(إراسموس) Erasmus، وهي تمثل الخطوات الأولى التي انطلقت منها النهضة الفكرية والفنية Renaissance، وتكاملت في عهد التنوير Lumières في القرن الثامن عشر وصولاً إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الثورة الفرنسية. إن هذا التسلسل الفكري الذي توّج غليانه في أوروبا بعد دخول الفكر العقلاني ليس محصوراً بابن رشد، بل إنهم عرفوا الفلاسفة العرب كابن سينا، وابن باجة، وابن طفيل، إلا أن ابن رشد بقي أبرز ممثل لهذا التيار العقلاني. وهو تأثير مازال قائماً في الأوساط الفكرية الرفيعة في أوروبا، وهذا ما دعا عدداً من الأكاديميات إلى التشارك في إصدار مجموعة من المؤلفات أُطلق عليها اسم «ابن رشد اللاتيني» Averroès Latin، وهي دراسات تشرح مدى تأثير ابن رشد في الفلسفات الأوروبية المكتوبة باللاتينية التي ظهرت بعد القرن الثاني عشر، وهو تاريخ وصول الرشدية إلى أوروبا. ونحن نسعى للتجاوب مع مطلب مُلِحّ هو أن تتفق المجامع اللغوية العربية على إصدار ما سندعوه "الرُّشدية العربية" في مجموعة نستقصي فيها ما يمكن إثباته من آثار عميقة للرشدية في الثقافة العربية الحديثة.

### أيها الحفل الكريم:

لقد طلبنا إلى الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان عضو المجمع أن يسطر أمامنا السيرة الذاتية لزميلنا الجديد قبل أن يتولى الدكتور تيزيني الكلام عن سلفه فقيده المجمع الأستاذ جورج صدقني، فليفضل الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان.

## كلمة الدكتور عبد الإله نبهان عضو المجمع في حفل استقبال الدكتور محمد طيب تيزيني

سيدي الأستاذ الدكتور مروان المحاسني رئيس مجمع اللغة العربية الموقر  
سادتي الأفاضل أعضاء مجمع اللغة العربية الموقرين  
سيداتي سادتي:  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

يسعدني اليوم أيّما سعادة أن يناط بي الترحيبُ بأخي الأستاذ الدكتور  
محمد طيب تيزيني في حفل استقباله عضوًا عاملاً في مجمع اللغة العربية  
بدمشق بعد أن مضى على ترشيحه لهذه العضوية نحو من ثماني سنوات.  
والدكتور الطيب من أساتذة الفلسفة البارزين ومن رجال الفكر  
المعدودين ومن المنتجين الكبار للكتب الجادة الرصينة والدراسات  
والبحوث المعمقة.

أأحدثكم عن الطيب؟ ولكن كيف أبدأ الحديث وعن أي شيء؟  
أأحدثكم عن أخوة وصدّاقة تجاوزت بصفتها نحوًا من أربعين عامًا  
وتيّف، استمرت بالحب والوفاق، لم يخالط صنفوها كدر، ولم ينغص سعادتها  
خلاف، إنما صدّاقة ومرافقة وموافقة، كانت الأهلّي والأجمل والأنضر في  
بادية الحياة ... أأحدثكم عن أفكاره وعن كتبه؟ ومن لي بالمقدرة على إيجاز  
آلاف الصفحات - بلا مبالغة - في دقائق محسوبة معدودة؟

في عام ١٩٦٩ في غرفة صغيرة، مكتظة بالكتب، غرفة لا يسكنها إلا طالب أو كادح، غرفة مرآب، كان لقائي الأول بالدكتور التيزيني، وكنت صحبة الأخ الصديق الدكتور عبد المعطي سويد، وكان الطيب قد قدم حديثاً من ألمانيا. وتنامت المعرفة وتحوّلت إلى معرفة وثيقة وصادقة فكرية مديدة، لذلك فإنني أزعّم أنه يمكنني أن أوجز لكم سيرة نضال عصاميّة فكرية فيما خُصّص لي من دقائق.

ولد السيد الدكتور محمد طيب تيزيني في حمص القديمة في «جمال الدين» بباب الدريب عام ١٩٣٦ في العاشر من حَزيران، وقرأ القرآن وتعلّم الحساب في كتاب الشيخ عبد السلام، هذا الشيخ الذي كان له تأثير كامن في وحي التلميذ.

كان الشيخ عبد السلام هذا كادحاً فقيراً، يعلّم الأولاد، ويؤدّن في المسجد، ويصلّي إماماً، وكان في الوقت نفسه عاملاً أجيّراً لدى بعض تجار النسيج الذين أثروا على نحوٍ مذهل... وقد وعى الدكتور الطيب دلالة هذا الوضع المأساوي في سنوات تالية، واتّضح له أن الدين ليس هو الذي يفسّر الوضع الاجتماعي، وإنما هذا الأخير هو الذي يقدم مسوّغات الدين... ومات الشيخ عبد السلام، وقد ترك في ذهن الفتى وقلبه دروساً وذكريات لا تُمحى، وقال عنه بعد ذلك: لقد تجاوز بؤسه وفقره بعزائه الديني، عزاء السعادة القصوى في جنات النعيم.

بعد مرحلة الكتاب، تنقل الطيب في المدارس حتى نال درجة الشهادة المتوسطة (الكفاءة)، وقضى وقتاً بعيداً عن الاستقرار المادي والمدرسي، وبادر إلى الالتحاق بخدمة العلم التي أنهارها ونال خلالها الشهادة الثانوية العامة. وكان مما أثار في تكوّنه بيت أهله في «جمال الدين» وكان فيه غرفة

واسعة يسمونها «المنزول» يسهر فيها زوّار دائمون من مختلف المشارب. في هذه اللقاءات الأسبوعية كانت هناك مجادلات فكرية ودينية، كان فيها ما جذبته إليها، وكان فيها ما نفّره منها، واستأثرت مشكلة الجبر والتخيير على حيزٍ من تلك الحوارات، وبتأثير من هذا الجو الثقافي اندفع الطيب إلى العناية بالفكر الفلسفي، فقرأ المعرّي وتعرّف فكره العقليّ المستنير وموقفه من العالم، ثم قرأ تولستوي وجان جاك روسو في اعترافاتهما التي تجعل الموت الخيار الأمثل أمام الإنسان، وتعرّف بابن خلدون وديكارت وماركس... وبدأت رحلة العلم والتحصيل الطويلة، إلى جامعة دمشق أولاً، ولمدة سنة واحدة في فرع الثقافة العامة حيث شعر بضحالة التجربة وعُقمها، فتوجّه إلى أوروبا في رحلة شاقّة ممتعة انتهت بالاستقرار في ألمانيا الديمقراطية، وهناك في لايبزيغ وبرلين قرأ ما استطاع قراءته من الموروث الفلسفي اليوناني والإنكليزي والفرنسي والألماني وأنجز شهادتي الماجستير والدكتوراه.. وقد لاحظ في أثناء دراسته غياب الدراسات عن تاريخ الفكر العربي في العصر الوسيط والحديث على نحوٍ موسّع معمّق في معاهد الفلسفة هناك.. ولم يكن ذلك قصوراً بقدر ما كان وضعاً تاريخياً تمتد جذوره إلى مرحلة قديمة.

عاد التيزيني إلى سورية عام ١٩٦٨، وهو يطمح إلى العمل في التدريس الجامعي في قسم الفلسفة، ولم يكن طريقه إلى الجامعة مفروضاً بالورد والريحان، لقد خاض صراعاً، وعانى من البيروقراطية، ولم يستقرّ وضعه إلا بعد هياطٍ ومياط، وشفاعة من نزاهته وأمانته وصلابته وحرصه المطلق على حرية الفكر واحترام الإنسان.

فليس الذي قاسى المطالب غدوةً هيبداً، كمن قاسى المطالب حنظلاً وفي هذه المرحلة جاءت له فرصة لمتابعة التحصيل العلمي، وكان ذلك



مناسبة لإنجاز أطروحة جديدة نال عليها شهادة «الأستاذية»، وقد كلفه ذلك خمس سنوات من العمل.

وفي جامعة دمشق اتجه إلى العمل على مشروع فكري واسع الآفاق إضافة إلى عمله التدريسي، وبدأ مشروعه بكتاب أفصح فيه عن آفاه الفكرية وسمّاه «مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط»، وهو كتاب تضمّن الأسس التي سبّني عليها كتبه اللاحقة، وأولها كتاب «من التراث إلى الثورة: حول نظرية مقترحة في قضية التراث العربي»، وهو كتاب ضخّم، في حجمه الورقي، وفي حجمه الفكري، ومما أخبرني به السيد الدكتور أنه سيسميه إذا أعاد نشره: من التراث إلى النهضة. وتوالت كتبه تترى بعد ذلك، وسألحق أسماء مؤلفاته في ثبت في نهاية هذه الكلمة.

وانطلاقاً من دمشق اتسع نشاطه سطحاً وعمقاً، أما من حيث السطح فقد كان ذلك في مجال المحاضرات الفكرية لعموم الناس والمثقفين، في المراكز الثقافية، والجمعيات الثقافية، وفي منظمة الشبيبة، وكان يُجيب جميع الدعوات، سواء أكان ذلك في المركز أم في الأطراف، أما عمقاً فإن ذلك كان في مجال تطوير أفكاره وإنمائها وتسجيلها في كتب ومقالات، سرعان ما وجدت طريقها إلى أيدي الباحثين وأفكارهم... لقد أخذ على عاتقه مهمّة نشر الوعي من منظور تنويري وعلى كل صعيد، واستهدف في بحوثه دائماً تجسيد قانون العلاقة الجدلية بين الفكر والواقع منطلقاً من رؤية استشرافية تقوم على قناعة عقلية قوامها أن قضية التراث والنهضة كانت وما زالت هي القضية التي يمكن للمفكر أن يلج منها إلى الإشكالية الثقافية النظرية في الوضعية العربية الراهنة لتكون النتائج سلاحاً فكرياً دقيقاً مرهفاً في وطنٍ يريد له الآخرون أن يُحتضروا.

ويعتمد الدكتور في بحوثه منهجاً واضحاً مُعلّناً، هو المنهج المادي

الجدلي التاريخي، وذلك لأنه يرى أن هذا المنهج إذا جُرد من معظم معطياته ومقوماته، فإنه يظلّ محتفظاً بركيزته الكبرى الحاسمة المتمثلة بكونه منهج التجاوز والتخطّي الجدليين الماديين، وبأنه - أي هذا المنهج - هو أولّ خاضع لهذا التخطّي وذلك التجاوز.

ولا يسعني في هذا المقام الاستطراء في عرض أفكار الدكتور التيزيني، وحسبنا من النهر مصّة الوشل، وخصوصاً أن المقام مقام استقبال لا مقام تعريف أو تعليم، والرجل تُعرّف به آثاره لمن أراد أن يعرف.

سادتي أعضاء المجمع الكرام

سيداتي سادتي:

إننا إذ نلتقي اليوم في جلسة الاستقبال هذي لاستقبال الرصيف الكريم إنما نستقبل باستقباله ابناً وطنياً باراً، ومفكراً عربياً بارزاً، فرض اسمه على ساحة الفكر العربي المعاصر، وعلى التاريخ الفكري المعاصر.

ولا نملك إلا أن نُشيد بتواضعه الجَمّ وشدة احترامه لإنسانية الإنسان، وديموقراطيته، وحبّه لوطنه وتعلقه به، وتفانيه في سبيل أمته، وبزهدته في تلك الأعراض الفانية من مالٍ ومن نسب... وكلّ هذه السمات نتلمسها في سلوكه وفي دراساته، فهو لا ينسى دائماً أن يقدم الشكر لخصومه الفكريين مع الاحترام، منطلقاً من مقولته التي كان وما يزال يرددّها دائماً: «إن الديموقراطية يجب أن تكون في حياتنا المقدمة والمتنّ والخاتمة»، وكأنّ الشاعر العربيّ القديم قد عناه عندما قال:

إذا أحسن الأقوام أن يتناولوا      بلا نعمة، أحسنت أن تتطولا  
تعظمت عن ذاك التعظم منهم      وأوصاك نبل القدر ألا تنبلا  
تبيت بعيداً أن توجه حيلة      على نشب السلطان أو تتأولا

والسلام عليكم

## الأثار الفكرية للأستاذ الدكتور محمد طيب تيزيني

### المحور الأوّل

- ١- مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط. دار دمشق - دمشق ١٩٧١.
- ٢- من التراث إلى الثورة: «حول نظرية مقترحة في قضية التراث العربي». دار دمشق - دمشق - دار الجيل - بيروت ١٩٧٩.
- ٣- الفكر العربي في بواكيره وآفاقه الأولى. دار دمشق - دمشق ١٩٨٢.
- ٤- من يهوه إلى الله ١-٢. دار دمشق - دمشق ١٩٨٥.
- ٥- النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة. دار الينابيع - دمشق ١٩٩٧.
- ٦- مقدمات أولية في الإسلام المحمّدي الباكر نشأة وتأسيسًا. دار دمشق - دمشق ١٩٩٤.
- ٧- من اللاهوت إلى الفلسفة العربية الوسيطة: ١-٢.
  - أ- الفكر العربي قبل الفلسفة وحتى تخومها - بتر - دمشق ٢٠٠٢.
  - ب- الفلسفة العربية الوسيطة في تحقيقها - وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٠٥.
- ٨- التصوف العربي الإسلامي: «فرادة في الحضور الوجودي والاستحقاق القيمي». وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١١.

## المحور الثاني

- ١- روجيه غارودي بعد الصمت.
- ٢- في السجال الفكري الراهن حول بعض قضايا التراث منهجاً وتطبيقاً. دار الفكر الجديد ١٩٨٩.
- ٣- فصول في الفكر السياسي العربي. دار الفارابي - لبنان ١٩٨٩.
- ٤- على طريق الوضوح المنهجي: «كتابات في الفلسفة والفكر العربي». دار الفارابي - بيروت ١٩٨٩.
- ٥- من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي: «بحث في القراءة الجابرية للفكر العربي وفي آفاقها التاريخية». دار الذاكرة - حمص ١٩٩٦.
- ٦- من ثلاثية الفساد إلى قضايا المجتمع المدني. دار جفرا - دمشق ٢٠٠١.
- ٧- الإسلام والعصر (مع الدكتور سعيد رمضان البوطي). دار الفكر - دمشق.
- ٨- بيان في النهضة والتنوير العربي. دار الفارابي - بيروت ٢٠٠٥.
- ٩- آفاق فلسفية عربية معاصرة (مع الدكتور أبو يعرب المرزوقي). دار الفكر - دمشق ٢٠٠٦.
- ١٠- استكشاف أسئلة الفكر العربي الراهنة. الدار السورية اللبنانية للنشر ٢٠١١.
- ١١- الأصولية بين الظلامية والتنوير ولواحق أخرى متممة. دار جفرا - دمشق ٢٠١٢.

## كلمة الدكتور محمد طيب تيزيني في حفل استقباله يتحدث فيها عن سلفه الأستاذ جورج صدقي

الأستاذ الدكتور مروان المحاسني  
أيها الزملاء المحترمون:

إن ما يلفت نظري في هذا اللقاء أنه يجسد تقليدًا إيجابيًا في حياة المجمع الكريم، وهو ذلك الذي يتمثل في تناول الزملاء الجدد الحديث عن زملائهم السابقين الراحلين، على نحو يسهم في التذكير بما أنجزوه ضمن المجمع وقدموه، محققين بذلك الفكرة الشهيرة الحصيصة والقائمة على أن المجامع العلمية إنما هي «مجامع الخالدين». فهم حقًا خالدون في حياة أممهم، على الأقل من موقع كونهم يجدون مهماتهم ماثلة في اثنتين هما: العمل على المحافظة على المنجزات الفذة لهذه الأمة أولاً، وعلى تطويرها وفق قانون التقدم التاريخي المفتوح ثانياً. وهذا نمط من الإنجاز الكبير على طريق بلورة وصوغ الذاكرة للأجيال القادمة المتعاقبة. فلقد ابتدعت فكرة «المجمع العلمي» في حياة الأمم والشعوب والأجيال وفق الأبعاد الثلاثة التالية، الأفقي والعمودي والعمقي الداخلي، وتحولت إلى رائر حاسم لصوغ الوعي الوطني والقومي والإنساني.

ويصبح الأمر أكثر شمولاً، حين ننظر إلى «المجمع العلمي» بعين الباحث العالم لما يعيشه من مشكلات مرحلته وربما عصره، وما يكتشفه من عوائق موضوعية وذاتية تواجه عمله وحياته.

فالحديث عن تراث الراحل جورج صدقني يعني - في أحد احتمالاته - اكتشاف مادته من خلال ما ترجمه من أعمال فلسفية خصوصاً، وذلك بتفكيكها واستنباط الدلالات والمعاني المغروزة فيها، يدًا بيد مع ضبط المرحلة التاريخية التي أنجز ذلك على امتدادها. أما المرحلة التي عاش فيها فقد تمثلت في الثلاثينيات من القرن العشرين فصاعدًا. فلقد ترجم كتاب «مدخل إلى علم الفلسفة» للفيلسوف (كارل ياسبرز). وكان الرأي العام الدولي منشغلًا في حينه بقضية الدفاع عن السلم ضد خطر كبير تمثل في الخطر النووي.

وبالتوافق مع تلك القضية الكبرى وجد صدقني نفسه أمام استحقاق الحرية، التي تضبط التعامل مع ذلك الخطر النووي وقضايا راهنة أخرى. وبالتوافق مع هذه القضية الحساسة جدًّا وجد نفسه أمام استحقاق الحرية، التي يتعين أن يُمارس دورها محليًّا وعالميًّا. فركّز على الحرية الإنسانية، دون أن يكون البعد المجتمعي والتاريخي لهذه الحرية ماثلاً بعمق في مشروع العمل. لقد كان «الوجود الإنساني» المسجد بالإنسان الفرد المعني، هو ما ينبغي الدفاع عنه في حرّيته، التي تضبط التعامل مع ذلك الخطر النووي، وذلك في مرحلة كان فيها السلم العالمي أمام استحقاقات خطيرة.

ويلاحظ أن الراحل صدقني كان قد تأثر مباشرة بالراحل الآخر الدكتور بديع الكسم فقد كان تلميذه في جامعة دمشق. وتابع السير كذلك لاحقًا، حيث اهتم بكتابات الفلسفة، ومنها ما نشره الدكتور الكسم في فصل من كتاباته، بعنوان: «البرهان والفلسفة». هاهنا كتب عن الثلاثية التالية «الحقيقة

الفلسفية» و«القيمة» إضافة إلى «الحرية». فالأولى، أي الحقيقة الفلسفية ترتبط بـ«القيمة» على نحو لا ينفصل، بقدر ما تكون القيمة هذه راسخة العلاقة بالحرية. ويلاحظ أن هذه الثلاثية أثرت بقدر لافت في شخصية جورج صدقني. وكان ذلك يُفصح عن نفسه في مناقشاته وحواراته، مما يشي بتكوينه الفكري، في جزء ملحوظ منه بتأثره بالدكتور بديع الكسم.

وسوف نتبين ذلك، بالاعتبارين الفكري والسياسي، في مرحلة الوحدة بين سورية ومصر؛ وهذا ما جعل توجهه القومي العربي يشير إلى أن ذلك يمثل اتجاهًا حاكمًا في بنيته، وفيما يمكن أن يؤسس عليه من خطط ومشاريع اقتصادية وسياسية وثقافية.

من هنا، شكّل فسحُ الوحدة بين القطرين المذكورين عاملاً صادمًا في شخصية صدقني، وقد ظهر ذلك بِنِّا صريح الدلالة، حين نيّطت به وزارة الإعلام. فها هنا ظهرت طاقاته ومهاراته، التي ظهرت كذلك حين صار رئيسًا لاتحاد الكتاب العرب. وينبغي القول ها هنا: إن فكَّ الوحدة القومية بين سورية ومصر ترك آثارًا بالغة الأسى العميق. فلقد هزّه وأدخله في حالة من الكآبة. وقد ظهر الأسى في حياته، خصوصًا حين تلقف ما كان قرأه عند الدكتور بديع الكسم في أحد أعماله في فصل عن «البرهان والفلسفة».

فها هنا يتحدث الأستاذ الكسم عن مصطلحين يبرزان في الحياة السياسية خصوصًا، وهما «المساومة الحقيقية» و«المساومة في الحياة العامة». وقد برز هذا الموقف المأساوي في سياق «تفكيك الوحدة الثنائية بين مصر وسورية». وقد ظهر ذلك في تعليق الراحل صدقني على ذلك معلنًا (أن ما كان يجب أن يكون حاكمًا في إطار الوحدة المذكورة «التسامح الحق» بدلًا من «المساومة»).

كان الراحل الأستاذ صدقني جادًا في علاقته باللغة العربية، فكان يرى،

كما يكتب الراحل الدكتور شاكر الفحام أن « اللغة العربية الميمنة أداة الإفصاح والبيان في جميع ميادين المعرفة والحياة، تجاري اللغات العالمية، فتغنيها وتغتنى بها». وقد تعززت هذه الفكرة عند جورج صدقني بمزيد من القناعة، نظرًا لامتلاكه اللغة الفرنسية، التي أوجدت فرصة للمقارنة بينها وبين اللغة العربية. وكان هذا دعمًا للقول بأن دعوة « اللهجة العامية» كلغة، تقوم بما تقوم به الفصحى العربية؛ وكذا الأمر فيما يتصل بالدعوات الأخرى من مثل الدعوة إلى اللاتينية - دعوات مغرضة. لقد دللت اللغة العربية على قدرتها العميقة في تغطية التطورات العالمية الصناعية والسياسية والثقافية وغيرها. ها هنا يبرز دور هذا المجمع وغيره في فتح الطرق السالكة أمام اللغة العربية إبداعًا وتطويرًا.

ها هنا كذلك نتبين موقف الراحل صدقني المشغوف بلغتنا، والذي أسهم في كثير من المناسبات بإغنائها والدفاع عنها، وذلك بالحفاظ عليها وتطويرها يدًا بيد مع تطور العلوم والثقافة والاقتصاد وغيره، وتحويل هذا كله إلى ساحة التغيير في حقل عربي مفعم بالعقبات.

وهذا ما يدعوني للتأكيد أن الحفاظ إنما هو حالة مركبة تستدعي جهودًا هائلة على الأقل بقدر ما العقبات التي تقف في وجه ذلك هائلة.

أيها السادة الزملاء المحترمون: إن سورية والوطن العربي يحتاجان لمجمعكم الكريم وللمجامع العربية كلها. فعسى أن يكون هذا العمل المشترك طريقًا إلى أعمال مشتركة أخرى تجعل من البلدان العربية المشرذمة أقرب إلى التوافق والعمل المشترك. ولعلي أختم بكون الوطن العربي يحتاج إلى ذلك العمل، نظرًا إلى أنه يقف، ثانية، أمام الخيار التاريخي الصعب بين الآن وبين ما يجب أن يكون.

أشكركم جزيل الشكر لإنصاتكم، ودمتم بخير عميم.